۱۶۵۷۸

مجله	التضامن الاسلامی
تاریخ نشر	رمضان ۱۳۹۰
شماره	سوم سال بیست وپنجم
شماره مسلسل	
محل نشر	مکهٔ مکرمه
زبان	عربی
نویسنده	احمد حسین
تعداد صفحات	۱۷۵ - ۱۷۸
موضوع	من قضایا الرأی فی الاسلام
سرفصلها	الاسلام دین العقل والفکر عقل - دین
کیفیت	
ملاحضات	

كتاب الشهر

من قضايا الرأي في الاسلام

تاليف : الاستاذ أحمد حسين

عرض وتلخيص : حسن عبد المقصود

يتحدث المؤلف عن أن الاسلام دين العقل والفكر وحرية الراي فيقول :
لعل اروع ما في الاديان ، وما يشدني انا اليها شخصيا هو انها تعظم من شان الانسان ولا تتركه في هذا الوجود نهبا للتشتت والضياع وفقدان الامل .

فالذين لا يؤمنون بان للكون الها عادلا رحيما حكيما خلق الوجود والانسان لحكمة وغاية ، ان خفيت عـلى عقولنا لانها قاصرة فهي كائنة من غير شك هؤلاء الذين لا يؤمنون بذلك قد يستطيعون مواجهة الحياة ما بقوا اقوياء اصحاء يحصلون على حاجتهم في يسر ورخاء ولكن اذا حاق بهم مكروه وحلت بهم كارثة وعرض لهم مـن الامر ما لا قبل لهم بدفعه وعاشوا في الظلام يتجرعون الغصص والآلام فما دام الانسان في تصورهم بعض ذرات هذه المادة الهائمة في الوجود لغير هدف وبدون علة وانه كبقية الكائنات قد وجد بمحض الصدفة فاي قوة يمكن أن يتوجهوا اليها بالدعاء واي مصدر يمكن ان يتوقعوا منه الفرج ؟

وليس ذلك شان الاديان .. فهي تقول للانسان ان القوة المسيطرة على الكون والذي خلقته قد اوجدته لغاية وحكمة لا يمكن الا أن تكون خيرا وانها تقف بجانب الانسان ترقبه فان فاته الخير في هـذه الدنيا وافاه في الآخرة وان الخير والشر على السواء لا يدان ينال جزاءهما في حياة ثانية حيث من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

× × ×

ثم يقول المؤلف عن الاسلام والانسان :

ويصل الاسلام الى الذروة في اظهار هذه الرابطة بين القوة الخالقة المدبرة لهذا الكون وبين الانسان ، فليس الانسان في حقيقته الا مظهر هذه القوة الالهية في هذا الوجود ودليل ارادتها ومشيئتها على هذه الارض . وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

(واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم مالا تعلمون)

. الى آخر الآيات ٣٠ الى ٣٤ سورة البقرة .

ومن هذا السرد لقصة خلق الانسان كما نص القرآن تتضح الحقائق التالية :

١ – ان الله قـد اختار أن يخلق الانسان ليكون خليفة له على الارض . وقد سواه وخلقه ونفخ فيه من روحه ثم طلب من الملائكة أن تسجد له ..

٢ – ان الملائكة وهم عـلى ماهم عليه من الدرجة الرفيعة . اذ انهم كائنات نورانية قد امروا ان يسجدوا للانسان المخلوق مـن التراب وعندما أبى ابليس أن يسجد واستكبر واعتبر نفسه وقد خلقه الله من نار لا يمكن أن يسجد لمن خلق من تراب كان جزاؤه الحرمان من رحمة الله والطرد من صفوف الملائكة .

٣ ـ انه لم يغب عن الملائكة أن هذا المخلوق الانساني الجديد سوف يفسد في الارض ويسفك الدماء ويعصى الله • وتساءلوا كيف يجوز ذلك وهم يعبدون الله ويقدسونه ولا يعصون ما أمرهم ويسبحون اناء الليل وأطراف النهار !

فرد عليهم الله سبحانه وتعالى في ان حكمته اقتضت ذلك وانه يعلم مالا تعلمه الملائكة •

٤ ـ وقد زود الله هذا الكائن الجديد وهو الانسان بنعمة العلم فتفوق بهذا العلم على الملائكة الذين رسبوا في الامتحان حيث نجح الانسان •

العلم هـو العقل :

والعلم الذي امتاز به الانسان على الملائكة هو ما يهدي اليه العقل فمن المحقق ان للملائكة علما ولكنه مفطور فيهم كعلم النواميس أما علم الانسان فهو العلم الذي يقوم على العقل والفكر والتمييز والاختيار وهذا التمييز والقدرة على الاختيار أو ما نسميه الحرية في التقدير والتصرف هو الاثر الذي اختص به الانسان من بين سائر الكائنات •

فالانسان وحده من بين هذا الكون من كائنات هو الحر المختار في ان يفعل هذا الشيء أو لا يفعله يأكل أو لا يأكل وهو الذي يختار ما يأكله والوقت الذي يأكله فيه • والطريقة التي يأكله بها • أو ان يمتنع عن الاكل بالكلية حتى ليتلف نفسه بالموت تحقيقا لارادته ومشيئته • التي تعلو عنده على غريزة البقاء التي تسيّر أي كائن حي آخر •

فالحرية اذن حرية الحركة وحرية التصرف وحرية الفكر هي الاصل الذي استحق الانسان أن يكون انسانا يعلو فوق بقية الكائنات ويسخر له كل ما في الكون من شمس وقمر وأرض وسماء ونجوم ورياح وأمطار وبحار وأسماك وحيوان وان يكون سيد ذلك كله المتصرف فيه والمستعمل عليه •

القرآن وحرية الانسان :

وقد حرص القرآن الكريم على اثبات هذه الحرية للانسان لانها علة وجوده • فزوده بالقدرة على الاقرار بالعبودية لله أو جحود ذلك • طبقا لما يمليه عليه عقله وتوحي اليه ارادته يقول سبحانه :

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن • ومن شاء فليكفر) • « ٢٩ الكهف »

(ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) • « ١٩ المزمل)

(ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم) « ٢٧ و ٢٨ التكوير »

لا اكراه في الدين :

ويخاطب الله رسوله الكريم محذرا اياه أن يتصور امكان اكراه الناس على اعتناق الدين •

(أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) • « ٩٩ يونس »

(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) • « ٢٥٦ البقرة »

ومهمة الرسول :

(فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر) • « ٢١ و ٢٢ الغاشية »

وتكون مهمته صلى الله عليه وسلم مجرد التبليغ والتذكير والانذار :

(وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) • « ٥٥ الذاريات »

معجزة الاسلام عقلية :

واذا كان الرسل الذين سبقوا ، جعلوا سبيلهم الى اقناع أقوامهم والقيام بأعمال خارقة كتحويل العصا الى ثعبان أو شق البحر أو احياء الموتى وابصار الاعمى ، فان سبيل محمد صلى الله عليه وسلم كان مخاطبة العقل ليستجيب لقوانينه الذاتية وقوانين البديهيات والمألوف وما جرت عليه العادة ولقد طالب مشركو قريش الرسول بان يقوم لهم بخوارق الاعمال ليثبت لهم أنه رسول من رب العالمين فرد عليهم بانه ليس الا بشرا رسولا جاء يهدي للتي هي أقوم ويخاطب العقل فيما خلق العقل من أجله •

(ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل

فابى اكثر الناس الا كفورا • وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا اوتاتي بالله والملائكة قبيلا اويكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا • وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا) •

« ٨٩ـ٩٤ الاسراء »

وان الانسان ليروعه سبيل القرآن لارشاد العقل الى الايمان بالله فهو يتدرج معه في معارج الفكر التي هي سبيل غيرها للحصول على اي علم يقين •

فهو يطلب من الانسان أن يستخدم حواسه من سمع وبصر لرصد الظواهر الكونية وتدبر نواميسها

(والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى) •

« ١ـ٢ الليل »

« والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها » •

« ١ـ٢ الشمس »

(افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت) • « ١٧ـ٢٠ الغاشية »

وعلى هذه الوتيرة يوجه القرآن العقل البشري الى سائر المخلوقات وما تنطوي عليه من سر وعجيب لا يقل في النملة الصغيرة عن الشمس الكبيرة •

ويصل القرآن الكريم في مخاطبته للعقل البشري وتحريكه الى أعلى درجات الاستقراء والاستنتاج على أساس البديهيات التي يلتزمها العقل ولا يستطيع العمل الا معتمدا عليها كبديهية ان الشيء اما أن يكون موجودا او ان يكون غير موجود وان فاقد الشيء لا يعطيه وذلك كقول القرآن الكريم :

(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) •

« ٣٥ الطور »

× × ×

ثم يقول المؤلف :

ويصل القرآن الى الذروة في الدعوة الى اعمال العقل والفكر بصفة دائمة وعدم الجمود والتمسك بالتقاليد البالية والخرافات والاوهام التي لا تقوم على اساس من الحق بحجة متابعة الاباء والجدود •

(واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) • « ١٧٠ البقرة »

والقرآن دعوة ملحة للمؤمنين ولكل من له بصر وسمع وعقل أن يتدبروا ويعقلوا ويفقهوا كل هذه الالفاظ لها مدلول واحد وهو اعمال العقل •

(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) •

« ٢٤ محمد »

(وقد بينا الآيات لعلكم تعقلون) • « ١٧ الحديد »

وقد وردت كلمة تعقلون في مثل هذا السياق في القرآن ٤٨ مرة •

(قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) •

« ٩٨ الانعام »

وقد وردت كلمة يعقلون بمثل هذا السياق في القرآن ١٧ مرة •

(ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون) •

« ١٣ الجاثية »

وقد وردت كلمة يتفكرون في القرآن ١١ مرة •

وهكذا يطالعنا الحديث عن العقل ووجوب اعمال العقل في كل سطر من سطور القرآن ان لم يكن بالنص فالروح والايحاء •

وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تطبيقا حيا لمنهاج القرآن ونزولا عند احكامه •

× × ×

وتحدث المؤلف بعد ذلك عن قضية الرأي حول من يخلف رسول الله ثم أورد اجتهادات عمر ابن الخطاب وما اثارته من قضايا الرأي بين اصحابه ثم تحدث في افاضة عن قضية الفقه الدائمة بين مدارس الفقه الاسلامي من عهد عمر ابن الخطاب حتى الفتنة فشرح فقه الشيعة والخوارج مدرسة الحديث وأصحاب الرأي ـ مالك • وأبو حنيفة • والشافعي • وأحمد بن حنبل •

وتحدث عن قضايا اهل الكلام • وقضية خلق القرآن ومحنة احمد بن حنبل وانصاره •

وتحدث عن الغزالي وعز الدين بن عبد السلام ، وعن شيخ الاسلام ابن تيمية أو العاصفة الروحية والفكرية التي جددت شباب الاسلام ولا تزال حتى الآن تؤدي دورها .

وأشار المؤلف الى ما ينص العالم الاسلامي الآن من مذاهب وتحل قال :

ليس للمسلمين سوى نبي واحد يشهد له المؤذنون من فوق المنابر هو محمد صلى الله عليه وسلم .

وليس لهم سوى قبلة واحدة يتجهون اليها في صلاتهم ويقصدون اليها في حجهم وبعض هذا يوجد بين القلوب ويربط النفوس فكيف بها مجتمعة .

وفي وسط التيارات والاعاصير المذهبية الحديثة يقف الاسلام بتعاليمه مرة أخرى كالطود الشامخ حيث يجد لكل سؤال جوابا ولكل مشكلة حلا مطبوعا بطابع الاسلام الخالد الذي جعله دين الانسانية كلها ، وهو طابع الوسيطة اي الوسط من كل شيء فلا دين بغير دنيا ولا دنيا بغير دين ، ولا مادة بغير روح ، ولا روح بغير مادة ولا افراط ولا تفريط ولا انحراف لليمين أو نحو اليسار وانما هو الاعتدال والميزان في كل ما يتصل بشئون البشر .

× × ×

ثم يقول :

ولن نجد ما نختم به هذا الكتاب عن قضايا الرأي في الاسلام بل وما يجب أن يختم به أي كتاب يتحدث عن الفرق والمذاهب والمعتقدات في الاسلام سوى نصيحة رسول الله العالية التي تزودنا بالدستور والمنهاج وطريق النجاة من كل كرب مادي أو معنوي وذلك هو قوله : « تركت فيكم ، ما ان تمسكتم به فلن تضلوا بعد أبدا ، كتاب الله ، وسنة رسوله » .

****

شهر رمضان

بقية ص ١٧٤

الطعام والشراب لتجويع أبدانهم وحطهم في ذلك الجوع والعطش انما أراد أن يكون لهم خلقا كريما وطبعا سليما وروحا خيرا ولقد علمنا الصيام هذه المثل ولقنا منها دروسا ناقعة حتى نجد أن معشر الصائمين تلزمهم هذه المثل في حياتهم العامة والخاصة بعد إتمام صيامهم واذا ما بدرت منهم أخطاء لجأوا الى الله يستمدون منه الغفران فهم لا يميلون الى منكر بعد أن منب الصيام طباعهم وطهر نفوسهم وزكاها أما عكس أولئك فانهم يتمادون في المنكر ولا يتناهون عن منكر فعلوه وفي مجال التهذيب للصائمين ما ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري أي ان الصوم فرض أساسا للتهذيب وتضييق مجاري الشر في النفس الانسانية فمن لم يتأثر بالحكمة الانسانية الاساسية فالله غني عن عبادته وبعد هذا فيه الحث على العطاء ومواساة البؤساء ومساعدة الضعفاء والذين اقعدهم عجزهم عن اللحاق بالموسرين ومد يدي العون لذوي الحاجة وفي ختام أيامه اخراج زكاة الاموال للفقراء والمساكين وغيرهم ممن أعطاهم الاسلام هذا الحق وهم ثمانية أنواع ــ الفقراء ، المساكين ، العاملون عليها ، المؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمون وفي سبيل الله وابن السبيل . فالفقراء الذين تزيد حاجتهم الضرورية على ما يرزقونه فلا يجدون كفايتهم . والمساكين المحتاجون الذين يجدون نصف كفايتهم وغير أولئك من الثمانية الانواع وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيتسال الناس » منفق عليه وجاء الحث على الصدقات وهو خير ما يحرجه الاغنياء من زكاة أموالهم وفيه حث على الانفاق تقربا الى الله فقد ورد عن زيد بن خالد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فطر صائما كان له مثل أجره لا ينقص من أجر الصائم شيء » أخرجه الترمذي وصححه وبهذا يظفر الصائمون ببرهم ومعطياتهم بأجر لا يعادله أجر وثواب عظيم في الدنيا والآخرة .